

تفسير البحر المحيط

@ 47 @ إِنْ يَشَأْ يُرْهِمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ *
عَلَيْهِمْ وَلَا يَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ *
وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا * دَاوُودَ *
زَبُورًا { . .

قيل : سبب نزولها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه بعض الكفرة ، فسيه عمر وهم بقتله فكاد يثير فتنة فنزلت الآية وهي منسوخة بآية السيف ، وارتباطها بما قبلها أنه لما تقدم ما نسب الكفار الله تعالى من الولد ، ونفورهم عن كتاب الله إذا سمعوه ، وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم) ونسبته إلى أنه مسحور ، وإنكار البعث كان ذلك مدعاة لإيذاء المؤمنين ومجلبة لبغض المؤمنين إياهم ومعاملتهم بما عاملوهم ، فأمر الله تعالى نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللفظ بهم في القول ، وأن لا يعاملوهم ، فأمر الله تعالى نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللفظ بهم في القول ، وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم ، فعلى هذا يكون المعنى { قُلْ لِّلْعِبَادِ } المؤمنين { يَقُولُوا } للمشركين الكلم { الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } . وقيل : المعنى { يَقُولُوا } أي يقول بعض المؤمنين لبعض الكلم التي هي أحسن أي جل بعضهم بعضاً ويعظمه ، ولا يصدر منه إلا الكلم الطيب والقول الجميل ، فلا يكونوا مثل المشركين في معاملة بعضهم بعضاً بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للأموال والسبي للنساء والذراري . .

وقيل : عبادي هنا المشركون إذ المقصود هنا الدعاء إلى الإسلام ، فخطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سبباً إلى قبول الدين فكأنه قيل : قل للذين أقروا أنهم عباد لي يقولوا { الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات فإن ذلك من نزع الشيطان وسوسته وتحسينه . وقيل : عبادي شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي تفسير { الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } والذي يظهر أن لفظة عبادي مضافة إليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله { فَبَشِّرْ * عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ } { فَادْخُلِي فِي عِبَادِ * عَيْنًا } { يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } . .

و { قُلْ } خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر ، ومعمول القول محذوف تقديره قولوا { الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وانجزم { يَقُولُوا } على أنه جواب للأمر الذي هو قل قاله الأخفش ، وهو صحيح المعنى على تقدير أن يكون عبادي يراد به المؤمنون لأنهم

لمسارعتهم لامثال أمر ا □ تعالى بنفس ما يقول لهم ذلك قالوا { الّـتـى هـىَ اَـحـسـنُ }
 . وعن سيبويه إنه انجزم على جواب لشرط محذوف ، أي إن يقل لهم { يَـقـُـولُـوا ° } فيكون في
قوله حذف معمول القول وحذف الشرط الذي { يَـقـُـولُـوا ° } جوابه . وقال المبرد : انجزم
جواباً للأمر الذي هو معمول { قُلْ ° } أي قولوا { الّـتـى هـىَ اَـحـسـنُ } { يَـقـُـولُـوا ° }
{ . وقيل معمول { قُلْ ° } مذكور لا محذوف وهو { يَـقـُـولُـوا ° } على تقدير لام الأمر وهو
مجزوم بها قاله الزجاج . وقيل : { يَـقـُـولُـوا ° } مبني وهو مضارع حل محل المبني الذي هو
فعل الأمر فبني ، والمعنى { قُلْ لِّلْعَبَادِىَ } قولوا قاله المازني ، وهذه الأقوال جرت في
قوله { قُلْ لِّلْعَبَادِىَ الّـذـيـنَ ءامـنـُـوا ° يُقـِـمـُـوا الصّـلـاةَ } وترجيح ما ينبغي
أن يرجح مذكور